

فصارت لغة التخاطب والتفاهم ، والتي تتميز – رغم اختلافها فيما بينها بسبب الاختلاف المحلي والاجتماعي – تميزاً واضحاً عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة بينها في المادة الصوتية وصوغ القوالب ، والقواعد النحوية والثروة اللفظية ، فمادتها الصوتية تشير إلى طابع معين من التيسير والتسهيل ، ويتعلق بهذا حذف الهمز (1) الذي استفاد في العصر الجاهلي في لهجة الحجازيين (٢) وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب . كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد ؛ وهذا الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القسم للذال ، بحيث يسمى العرب (٣) في أحد الأحاديث المشهورة : الناطقين بالضاد ؛ ويكثر إبداله بغيره من الأصوات على ألسنة غير العرب ؛ فيكثر بوجه خاص إبداله بالظاء التي هي الحرف المطبق القسم للثاء المهموسة (4) ، وهي صعبة النطق كذلك على غير اللسان العربي. وقد روى الجاحظ (٥) قصة البصري الذي سمى جاريته : ظمياء ، وقرن بذلك خبراً يفيد أن نصر بن سيار ، نصح الموالي أن يسموا خدمهم بأسماء يستطيعون أن يلفظوا بها . وهذه التغيرات الصوتية ازدادت على مر القرون . وكم ذا حاول النحاة أن يعالجوها ، فها هو ذا الحريري يحشد ، في المقامة السادسة والأربعين مجموعة من الألفاظ الطائية ؛ وفي القرن السابع يؤلف ابن مالك قصيدة تعليمية كتب هو شرحها